

دور المغاربة في ترسيخ الثقافة المغربية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء من الفتح الإسلامي إلى بداية القرن العاشر الهجري / 16 الميلادي

The role of Moroccans in the consolidation of Moroccan culture in sub-Saharan Africa from the Islamic conquest to the beginning of the tenth century AH / 16 AD

د / الطاهر خالد

جامعة الجزائر 2

tahaerkhaled@gmail.com

تاريخ القبول: 2018/09/04

تاريخ الإرسال: 2017/11/08

ملخص:

سنتطرق في هذا المقال إلى دور المغاربة في نشر الإسلام وترسيخ ثقافتهم في إفريقيا جنوب الصحراء منذ مجيء الفاتحين إليهم إلى بداية القرن العاشر الهجري/ 16 الميلادي. حيث دفعنا هذا الأمر إلى محاولة استقصاء العلاقة التي ربطت بين الجانبين لأن التواصل الحضاري كان موجودا بينهما خلال العصور القديمة باعتبارهما منطقتين جغرافيتين تكملان بعضهما. وتقنيديا طرح المؤرخين والفلاسفة الأوروبيين الذين صوروا لنا أن إفريقيا جزأين منفصلين بصحراء كبرى أحدهما أبيض في الشمال والآخر أسود في الجنوب لكل ثقافته وحضارته أمثال راييمون موني R.Mauny وكورنلفان Cornevin وشال أندري جوليان Charles-André Julien. والبعض منهم يرى أنها قارة لا تاريخ لها أمثال هيجل Hegel وهوك تريفور روبر Hugh Trevor-Roper. وعلى هذا الأساس سنكشف عن الدور الذي لعبه المغاربة في إيصال ثقافتهم الإسلامية إلى إفريقيا جنوب الصحراء وذلك من خلال الجهود التي قاموا بها لتثبيتها في هذه البلاد، لأنهم ساهموا بقدر كبير في ترسيخ الإسلام والثقافة العربية.

الكلمات المفتاحية:

المغاربة، الثقافة المغربية، بلاد السودان، إفريقيا جنوب الصحراء، انتشار الإسلام.

Abstract:

In this article we will discuss the role of Moroccans in spreading Islam and cultivating their culture in sub-Saharan Africa since the arrival of the conquerors to the beginning of the AH 10th / AD 16th century. This led us to try to investigate the relationship between the two sides because the civilizational communication existed between them during ancient times as geographical regions complementing each other and in order to present the European historians and philosophers who told us that Africa is two separate parts in a major desert, one in the north and the other in the south. Cultures and civilizations such as Raymond M. Muny, Cornevin and Charles-Adri Julian Charles-André Julien. Some see it as a continent with no histories such as Hegel and Hugh Trevor-Roper. It is on this basis that we will reveal the role played by Moroccans in bringing their Islamic culture to sub-Saharan Africa through their efforts to establish them in this country because they have contributed greatly to the consolidation of Islam and Arab culture.

keywords:

Moroccans, Moroccan culture, Country of Sudan, Sub-Saharan Africa, Spread of Islam.

مقدمة:

إن الروابط الثقافية بين المغاربة وإفريقيا جنوب الصحراء أو ما يعرف قديما ببلاد السودان موجودة منذ القدم حيث أن الصحراء الكبرى لم تكن عازلا بينهما فالعامل الجغرافي لم يكن عائقا لفصل الطرفين عن بعضهما بل يعتبر عاملا لصهر عملية الأخذ والعطاء والنقل. فكانت الصحراء الكبرى أسهل اختراقا في العصور القديمة، وبفضلها كان المغرب الإسلامي بمثابة قاعدة لانتشار الإسلام والثقافة العربية ومنبع الارتواء الروحي لشعوب إفريقيا جنوب الصحراء وقد اعترف بذلك كل من رولاند أوليقر وجون فيج في قولهما: "ولو أننا اعتبرنا الصحراء الكبرى عائقا للتقدم العربي الحقيقي فإن ديانة العرب وحضارتهم قد انتشرت بلا جدال من القاعدة الراسخة في شمال إفريقية

خلال المناطق الزنجية وبذلك أصبح السودان كله في يوم من الأيام جزءا من العالم الإسلامي⁽¹⁾. لذلك تشكلت علاقات بين الشمال وممالك إفريقيا جنوب الصحراء فكانت نقاط التواصل بينهما متعددة فقد انتقلت المعارف والعلوم المغربية إلى إفريقيا عن طريق التجار والدعاة وهجرات المغاربة والطرق الصوفية بالإضافة إلى إسهامات الدول المغربية في ذلك، وقد تجلّى هذا التأثير في مجالات مختلفة كالدين واللغة والتصوف والتأليف وفن العمارة وغيرها، غير أن أول هذه التأثيرات هو انتشار الإسلام في المنطقة وهذا ما أهله أن يكون جسرا حضاريا ودينيا وثقافيا بين الدول المغربية والبلدان الواقعة بجنوب الصحراء وهذا ما يدعونا إلى طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى ساهم المغاربة في نشر الإسلام والثقافة المغربية في إفريقيا جنوب الصحراء؟ وما هي مجالات تأثيرها؟ وفيما تمثلت مظاهرها؟ وبناء على ما تقدم فإننا ارتأينا أن نعالج هذا المقال مركزين فيه على محاور أساسية، إذ سنتطرق في هذه الورقة العلمية للحديث عن بداية اتصال المغاربة بإفريقيا جنوب الصحراء وذلك بإبراز دورهم في نشر الإسلام عن طريق الفاتحين والتجار والدعاة ودويلاهم والطرق الصوفية ثم هجراتهم وأثرها عليها، كما عالجنا علاقة إفريقيا جنوب الصحراء بمواضيرهم العلمية.

أولا- بداية اتصال المغاربة بإفريقيا جنوب الصحراء

1- المغرب قاعدة لانتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء

تعود الإرهاصات الأولى لانتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء عندما فتح عمرو بن العاص (ت43هـ-665م) الفسطاط سنة (20هـ-641م) في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (ت23هـ-644م) ثم فتحت بعدها الإسكندرية سنة (21هـ-642م) ثم تلتها فتوحات إسلامية أخرى تمثلت في الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حيث أرسل عمرو بن العاص بعد أن فتح برقة سنة (21هـ/642م) وطرابلس سنة (23هـ/644م) جيشا بقيادة عقبة بن نافع الفهري القرشي (ت63هـ-683م) لفتح الصحراء الليبية المتاخمة لإفريقيا جنوب الصحراء ففتح ودان وزويلة وغدامس وفزان وما جاورها وفرض على أهلها 360 رأس وبذلك فتح الصحراء الليبية وترك فيها الدعاة يعلمون الناس مبادئ الإسلام فصار كل

ما بين برقة وزويلة للمسلمين⁽²⁾، وتوجه بعد ذلك إلى إقليم كوار سنة (46/666م) لفتحها بالقرب من بحيرة تشاد⁽³⁾. وفي أغلب الظن انه سلك الطريق الذي يربط كانم بساحل طرابلس مباشرة ليصبح فيما بعد قناة يتدفق من خلالها التأثير الإسلامي المبكر إلى السودان الأوسط⁽⁴⁾.

كما تذكر المصادر أن عقبة بن نافع كان أول من حمل المثلثين على الإسلام، وهو أول عربي ارتاد أقصى بلاد المغرب خلال ولايته الثانية (62هـ-681م/64هـ-683م)، إذ فتح الطريق أمام التجار العرب الذين بدؤوا ينفذون إلى هذه الجهات، فسلك طريق جنوب المغرب الأقصى وغرب إقليم السوس الأقصى فأخضع المصامدة، وأسلم على يده الصنهاجيين، ووصل إلى مدينة ماسة ونفيس وأغمات، وهذا ما ذكره كل من ابن عذاري وابن أبي زرع⁽⁵⁾. كما أشار البكري أن عقبة بن نافع غزا من أغمات إلى نفيس ومن وريكة إلى مدينة نفيس⁽⁶⁾. وبهذا يكون عقبة قد مهد الطريق للتجار المغاربة ليسلكوا الصحراء نحو بلاد السودان. كما أشار آدم الألوري نقلا عن عبد الله بن فودي (ت1245هـ-1829م) في كتابه "تزين الورقات" أن عقبة وصل إلى بلاد فوتا وتزوج بابنة الملك المسماة "بنج منغ" وولدت له أولادا ونشأوا ببلاد أمهم وتكلموا لغة أمهم، وهذا ما تواتره الناس، وعليه يقول في بعض أشعاره:

وَعُقْبَةُ جَدِّ لِلْفُلَانِيِّينَ مِنْ عَرَبٍ وَمَنْ تُرْكَانَتْ أَمَهُمْ بَنَجْ مَنْغْ عَوْ⁽⁷⁾

ثم جاء بعده موسى بن نصير (ت97هـ-716م) ليتم ما بدأه عقبة فسلك الطريق الذي سلكه سالفه، فتقدم إلى وادي درعة غازيا وفتحا وناشرا للإسلام فقرب إليه القبائل الأمازيغية وهذا ما أكدته بن خلدون في قوله: "... غزا طنجة وأفتح درعه وصحراء تافيلالت وأرسل ابنه إلى السوس... وذلك سنة ثمانين وثمانين..."⁽⁸⁾. وأدخلهم إلى الإسلام أفواجا وجماعات بسبب حسن معاملته لهم وإشراكه لرحالها في إدارة أعماله، وقد أكثر موسى من بناء وتشديد المساجد خاصة في أغمات، ونشر الإسلام في وسط اللمتونين في المنطقة كلها⁽⁹⁾. وسار على هذه السياسة من جاء من بعده من الولاة والأمراء، حيث تأكد النفوذ الإسلامي في ولاية عبد الله بن الحبحاب (توفي بعد 123هـ-740م) في سنة

(114هـ-732م) حيث بعث حبيب بن عقبة بن نافع (ت124هـ-741) غازيا إلى المغرب فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان⁽¹⁰⁾. إن هذه الفتوحات أدت إلى التوغل في الصحراء حيث فتحت الباب أمام المؤثرات الإسلامية لتنفذ إلى بلاد السودان لأن الفاتحين الأوائل كان لهم الفضل في توطين الإسلام بالصحراء الكبرى والمناطق المتاخمة لها، لأنهم حملتها من مبعثها في المشرق وواضعوها في يد من بعدهم من أهل المغرب الإسلامي من تجار ودعاة وصوفيين ليتموا ما قام به أسلافهم من الفاتحين في حمل الرسالة إلى إفريقيا جنوب الصحراء.

2- دور التجار المغاربة:

كان للقوافل التجارية المغاربة دورا في نشر الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء، حيث كانت طرقها الموصلة بين المراكز الإسلامية في الشمال وهذه البلاد هي المسالك الحقيقية التي تسرب منها الإسلام، فلعبت دورا طليعيا في نشر عقيدة وحضارة الإسلام فيما وراء الصحراء الكبرى⁽¹¹⁾. إذ تأسست عدة مراكز هامة في المغرب الإسلامي ينطلق منها تجارها كبرقة وفران والقيروان وتلمسان ومراكش وغيرها. حيث كان التجار المغاربة ينزلون في المراكز التجارية السودانية كتبكت وجني وغازو وتكدية وكاتم وغيرها، فيحتكون بالزنج عن طريق التجارة ويؤثرون فيهم بنظافتهم وحسن أخلاقهم ومعاملاتهم، وكثيرا ما ينتهي هذا الاحتكاك بدخول هؤلاء الزنج للإسلام. وكان هؤلاء التجار يجمعون بين التجارة والعلم فاستقر بهم المقام بتلك البلاد وأنشأوا حلقات يعلمون فيها القرآن والعبادات، وبذلك قاموا بمزاولة النشاط التعليمي والدعوي لنشر مبادئ الإسلام بجانب النشاط التجاري. وكانوا يعيشون في وئام مع نظرائهم السودانيين، حتى أنهم أقاموا في مراكز تجارية داخل المناطق والتجمعات الوثنية دون خوف أو رهبة، وساعدتهم في ذلك انتشار الأمن مما أدى إلى ازدهار تجارتهم مع السودانيين، وقد ساعد ذلك على قيام ممالك إسلامية قوية في إفريقيا جنوب الصحراء⁽¹²⁾.

3- دور الدعاة المغاربة

لا يوجد اختلاف كبير بين التاجر والداعية، حيث التاجر يهتم بالتجارة والدعوة معا أما الداعية فكان اهتمامه الأول هو الدعوة إلى الإسلام، وكانت غالبية التجار لا تجيد

الفقه وليس منهم من يستطيع التفرغ لذلك، لهذا جاء دور الدعاة والفقهاء والعلماء المغاربة لتعليم وتثقيف السودانيين بأمور دينهم وشرح ما يستوجب شرحه، وكان البعض منهم يقومون بتشييد المدارس وإنشاء المساجد، وكثيرا ما كانوا يختارون الطلاب المميزين لإرسالهم إلى المعاهد الإسلامية الشهيرة في المغرب الإسلامي⁽¹³⁾. حيث أكد البكري (ت487هـ-1094م) أنه خلال القرن الخامس للهجرة /11م، تواجد في مملكة غانة اثني عشر مسجدا تضم الفقهاء والدعاة⁽¹⁴⁾، مما يدل على أن دخول الزنوج إلى الإسلام كان منذ وقت مبكر، إذ كان الدعاة يحضون بالاحترام والتقدير من قبل سكانهم. وعملوا على تحويل السودانيين إلى الإسلام وترسيخ أصول وقواعد المذهب المالكي، فكانت جامعات فاس وتلمسان والقيروان تغذي أبناء هذه البلاد بالفقه المالكي، حيث تبحر كثير منهم في هذا المذهب. إذ وجد عدد لا يستهان به ممن بلغو مرتبة عالية من العلم الشرعي مثل عائلة آقيت وأندغ، وعملوا بعد ذلك على نشر الإسلام والمذهب المالكي⁽¹⁵⁾.

4- دور الدول المغاربية في نشر الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء:

بعد اكتمال الفتح الإسلامي لبلاد المغرب واستتباب الأمر للمسلمين على يد الفاتحين الأوائل واحتضان سكانه للإسلام والثقافة العربية، عملوا على تأسيس دويلات اهتمت بربط علاقات سياسية وتجارية وثقافية مع ممالك إفريقيا جنوب الصحراء، نتج عنها انتشار الإسلام وثقافتهم في رحاب هذه الممالك. وتعتبر الدولة الرستمية أول دولة انفصلت عن الخلافة العباسية في بلاد المغرب الإسلامي، وهي أول دولة قامت في المغرب الأوسط ارتبطت بعلاقات سياسية وتجارية مع بعض ممالك إفريقيا جنوب الصحراء، خاصة كوكو (غاو) ومصدرنا في هذا الوقت مؤرخ الإباضية ابن الصغير، حيث ذكر أن الإمام أفلح (ت240هـ-854م) لما كان صغيرا عزم على السفر إلى غاو بغرض التجارة، لكن أباه منعه من ذلك كعقاب له على فشله في إجابة على سؤال فقهي يتعلق بالربا، وظهرت معالم هذه العلاقات في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب الذي أرسل سفارة إلى ملك كوكو، قام بها محمد بن عرفة⁽¹⁶⁾. ويقول ابن صغير في ذلك: "...يعرف بمحمد بعرفة... وكان وفد على ملك السودان بهدية من أفلح بن عبد الوهاب، فأعجب ملك السودان مما رآه

من هيبة وجماله وفروسيته إذا ركب الخيل فhez يده وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالعربية... بين القاف والكاف والجيم... معناها أنت حسن الوجه...⁽¹⁷⁾.

وكان أئمة الرستميين يشاركون في التجارة مع التجار الإباضيين، في عهد عبد الوهاب بن رستم أيام أبيه وأفلح بن عبد الوهاب وأبو اليقظان محمد بن أفلح (ت281هـ-894م) وأبو حاتم يوسف بن محمد (ت294هـ-907م)، فرحبوا بتجار السودان وأحسنوا معاملتهم وبارك لهم حكام السودان إحسانا بإحسان وقدموا إليهم التسهيلات التجارية، فأعفوا بضائعهم وسلعهم من الضرائب والرسوم وكان هذا سببا من أسباب انتشار الإسلام في بلادهم⁽¹⁸⁾. وقد استقر الإباضيين على أطراف الصحراء في واحة فزان وجبل نفوسة وغدامس وورجلان منذ القرن الثاني الهجري/8م لارتباطهم القوي بتجارة الصحراء واهتمت الدولة الرستمية بحفر الآبار للقوافل الصحراوية وأرسلت الجنود لتأمين ذلك⁽¹⁹⁾.

وظهرت آثار الاتصال بين التجار الرستميين وأهالي هذه البلاد واضحة في سلوكهم وملبسهم وطرق معيشتهم، كما حملوا هذه الألوان الحضارية مثلما حملوا الإسلام إلى هذه الجهات، وكثيرا ما كان يرافق القوافل عدد من الفقهاء المسلمين الذين خالطوا أهل البلاد وتركوا فيهم أثارا بعيدة المدى، وقد ساهم توافد الإباضيين ببلاد السودان في اعتناق الكثير من مسلمي السودان الأوائل الإسلام وفق مذهبهم، فلما زار ابن بطوطة (ت779هـ-1377م) مملكة مالي خلال فترة حكم منسى سليمان (ت761هـ-1360م) وجد بها قرية يسكنها تجار السودان يسمون بالونجراته أو (الونغارة)، يسكن معهم جماعة من البيضان يتمذهبون بمذهب الإباضية من الخوارج أطلقوا على أنفسهم اسم (صغنغو)⁽²⁰⁾.

وبعدما نجحت دعوة الأدراسة في تأسيس دولتهم في المغرب الأقصى سنة (172هـ-788م) استطاع إدريس الأول أن يوحد لأول مرة قبائل المغرب الأقصى، كما تمكنوا من تأسيس مدينة فاس سنة (182هـ-808م) على يد إدريس الثاني (ت221هـ-836م) التي جعلها عاصمة الدولة الإدريسية، فأصبحت الحاضرة الثقافية التي يقصدها العلماء والتجار من كل الجهات، خاصة بعد تأسيس جامع القرويين سنة (245هـ-859م) الذي يمثل مركز

إشعاع ثقافي وحضاري بالغرب الإسلامي، وما جعله يشتهر بدوره الثقافي والفكري هو احتضانه لجامعة القرويين التي تعتبر من أقدم المراكز العلمية بالعالم الإسلامي، لأنها تهتم بشتى العلوم الدينية والعقلية، فشكلت بذلك كعبة العلماء من المغرب الإسلامي والأندلس⁽²¹⁾. كما تجاوز إشعاع هذه الجامعة إلى ما وراء الصحراء لأن الأدارسة انطلقوا بقواهم من المغرب الأقصى إلى الصحراء الكبرى التي تفصل المغرب عن بلاد السودان، حيث أصبحت ديار المثلثين في هذه المنطقة خاضعة للأدارسة مما زاد في إسلام قبائل صنهاجة الذي بدأ في عهد عقبة وازداد في عهدهم⁽²²⁾، وكان لإسلامهم تأثير على انتشار الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء⁽²³⁾.

كما استمر انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء مع دولة المرابطين، كقوة سياسية في المغرب الأقصى والصحراء، حيث حمل المثلثون على عاتقهم نشر الإسلام في معظم مناطقها. وتزعم الحركة الإسلامية بها يحيى ابن إبراهيم الجدالي (ت 440هـ-1048م) وعبد الله ابن ياسين (ت 451هـ-1059م) الذي جمع حوله ألف طالب وأخذ يعلمهم تعاليم الإسلام، ثم يعدهم بأعباء الدعوة الإسلامية في هذه المنطقة، وتمكن المرابطون من نشر المذهب المالكي والقضاء على مملكة غانة الوثنية⁽²⁴⁾. ومن مظاهر تأثيرهم في إفريقيا جنوب الصحراء إتباعهم لتعاليم ابن ياسين المالكية، من خلال التزامهم بأمور الدين وأداء فروض الشريعة إلى أبعد الحدود، ولقد لاحظ ذلك ابن بطوطة عند زيارته لهذه المناطق بعد عصر المرابطين بحوالي قرنين حيث رأى التزام أهل السودان بهذه التعاليم وعلى مواظبتهم للصلوات والتزامهم بها في الجماعات وضرب أولادهم عليها وازدحام المساجد بالمصلين حتى إذا لم يكر المرء بالذهاب إلى المسجد فإنه لن يجد موضعاً له، وحرصهم الشديد على حفظ القرآن ومعاقبة أولادهم بوضع القيود في أرجلهم لعدم حفظهم له، وكانوا يستفتون الفقهاء ويأتمرون بأمرهم⁽²⁵⁾. وكان من نتائج ذلك امتزاج التقاليد المغربية الإسلامية التي نقلها المرابطون بالتقاليد الزنجرية المحلية.

ولما جاء الموحدون وحدوا بلاد المغرب الإسلامي تحت راية الدولة الموحدية التي أسسها المهدي بن تومرت (ت 524هـ-1129م) الذي تعود أصوله إلى قبيلة هرغة إحدى

قبائل المصامدة في السوس الأقصى⁽²⁶⁾، وبها أسس دعوته⁽²⁷⁾. وقد اهتموا بتوثيق علاقتهم التجارية وتفعيلها بين ضفتي الصحراء، حيث لعبت التجارة في عهدهم دورا مهما في ربط الاتصالات مع إفريقيا جنوب الصحراء لتبدأ مرحلة الانفتاح الدبلوماسي بين الطرفين⁽²⁸⁾. ويشير المقرئ (ت1041هـ-1631م) نقلا عن رحلة السرخسي الذي عاصر الموحيدين، أن والي سحلماسة الأمير أبا الربيع سليمان (ت600هـ-1204م) وجه رسالة إلى ملك غانة يستنكر فيها العراقي التي توضع أمام تجارهم المتوجهين إليهم، ويذكره بأن الجانب الموحيدي بإمكانه أن يعامل تجار غانة في المغرب بالمثل لكنه لا يجذب هذا الاتجاه، حيث ذكر المقرئ: "...نحن نتجاوز بالإحسان وان تخالفنا في الأديان، وننطق على السير المرضية، ونتألف على الرفق بالرعية ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة...ولو شئنا لا احتبسنا من في جهتنا من اهل تلك الناحية (تجار غانة) لكنا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهي عن خلق ونأتي مثله والسلام"⁽²⁹⁾.

كما استقطبت حاضرة مراكش أدباء وشعراء مبدعين من بلاد السودان منهم الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمي الأسود الذي أصله من مملكة كانم التي تقع بالسودان الأوسط، الذي قدم إلى بلاد الأندلس وسكن بمراكش وتوفي بها سنة (608هـ-1211م)، وهو يعتبر من الذين حملوا رسالة التواصل الثقافي الإسلامي بين بلاد السودان والمغرب الأقصى، حيث تأثر بالثقافة المغربية فمدح الخليفة يعقوب بن عبد المؤمن الموحيدي (ت595هـ-1199م) في بيتين شعريين:

أزال حاجبه عني وعيني تراه من المهابة في حجاب
وقربي بفضل منه لكن بعدت مهابة عند اقترابي⁽³⁰⁾

كما عرف في عهد الموحيدين نزوح قبائل عربية إلى المغرب هما بنو جشم وبنو هلال وقبيلة بني معقل، التي لم تستقر في سهول المغرب الأطلسية بل اتجهت نحو الصحراء، حيث وصل أحد أفخاذها ذوو حسان إلى نهر السنغال، وكان لهذا النزوح تأثير سلبي تمثل في الإغارة على طرق القوافل التجارية بين ضفتي الصحراء، وكما كان لها تأثير إيجابي تمثل في

قيام عهد تعريب الصحراء الكبرى وتخوم بلاد السودان، وأن النهضة العلمية التي قامت في حواضرها مثل تنبكت وغاو وجني وبلاد الهوسا يعود الفضل فيها إلى هذا التعريب⁽³¹⁾.

وقد شهد القرن السابع الهجري/13 ضعف الدولة الموحدية مما أدى إلى انقسام المغرب الإسلامي إلى ثلاث دويلات، الدولة المرينية في المغرب الأقصى والدولة الزيانية في المغرب الأوسط والدولة الحفصية في المغرب الأدنى، لكن هذا الانقسام لم يقف عائقا أمام التواصل مع إفريقيا جنوب الصحراء بل استمرت الروابط الحضارية والثقافية والإسلامية بين الجانبين. إذ ساهمت تلمسان باعتبارها من أهم الحواضر المغاربية في العهد الزياني، بأن كانت قبلة العلماء وطلاب العلم الذين كان لبعضهم دورا كبيرا في نقل معالم الحضارة الإسلامية المغاربية إلى هناك، حيث كانت القوافل التي تنطلق من تلمسان نحو ما وراء الصحراء تضم بين أفرادها ثلة من العلماء والدعاة، وهكذا كانت تنقل معها مجموعة من العادات والتقاليد المغاربية الإسلامية لتنتشرها في أوساط المجتمع الإفريقي. حيث تكونت شركة صحراوية تجارية هي شركة المقرين، جاء ذكرها عند المقرئ أن لجدّه أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمان أربعة أخوة اشتركوا في التجارة، ومهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجارة، واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عن السير حيث يقول المقرئ عن ذلك: "...عبد الرحمان وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بإبولاتن ... وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من سلع ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوزة والتبر والسجلماسي كلسان ميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان..."⁽³²⁾.

كما شكلت السفارات كنموذج حلقة تواصل بين بلاد المغرب وجنوبها جسرا تمر عبره الثقافة المغربية إلى المجتمعات السودانية دون جوازات ولا قيود، إذ الغرض منها توطيد العلاقات وربط أواصر الصداقة مع الدول والممالك. لأن هذه السفارات لها معان وأهداف وأغراض مختلفة في نشر الأفكار والمعتقدات الإسلامية وتدعيم الروابط العلمية والثقافية، مثل السفارة التي كانت بين الدولة الحفصية ومملكة كانم الإسلامية حيث أن أمراء كانم وبورنو قد توثقت علاقاتهم بالحفصيين، وكان يتوج من حين لآخر بإرسال الهدايا، ولقد

أرسل الماي دوغة دبا ليمي أمير كانم وبورنو إلى السلطان الحفصي أبي عبد الله المستنصر (ت675هـ-1277م) في سنة (655هـ-1257م) هدية اشتملت على زرافة، وهذا ما أثر دهشة التونسيين الذين تراحموا لرؤية هذا الحيوان العجيب⁽³³⁾. ثم تلتها سفارة الماي دريس بن علي سنة (908هـ-1502م) والذي من عهده استمرت العلاقات الطيبة بين الجانبين، ليرسل سفارة أخرى سنة (933هـ-1526م)⁽³⁴⁾.

ولقد تطورت العلاقات بين المرينيين وممالك إفريقيا جنوب الصحراء إلى أن تكونت السفارات بينهما⁽³⁵⁾، حيث نتج عنها علاقات سياسية ودبلوماسية قوية بين البلدين، ويعود السبب في ذلك إلى قوة التبادل التجاري والقرب الجغرافي بين الطرفين. إذ تم إرسال الممثلين من قبل مملكة مالي إلى الدولة المرينية وهذا ما يعرف بالدبلوماسية التي ساعدت على استمرار العلاقة بين الطرفين من أجل تحسين التعامل بين البلدين وتحقيق مكاسب في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية، وذلك من خلال البعثات العلمية التي تعتبر أحد أبرز مظاهر بناء صرح حضارتها الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء، من خلال نقل التراث الثقافي المغربي إلى مجتمعاتها، لأنها ساهمت في توسيع شبكة الاتصالات بين المنطقتين، حيث يقول يوسف كيوك: "إذا كان طريق التقوى والورع تنتهي بالسودانيين إلى مكة المكرمة فإن طريق العلم كانت تنتهي بهم إلى فاس"⁽³⁶⁾. وفي هذا الصدد أشار السعدي (ت1066هـ-1656م) لتشجيع ملك مالي منسى موسى (ت738هـ-1337م) بإرسال بعثات علمية إلى فاس لطلب العلم والتفقه على يد كبار فقهاءها ونيل العلم منهم ومن بينهم كاتبه الإمام سيدي أحمد الذي أرسله إلى مدينة فاس⁽³⁷⁾.

5- الطرق الصوفية

هناك طائفة جمعت بين التعليم والدعوة والوعظ والرياضة النفسية، فكان لها أعظم الأثر في نشر الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء⁽³⁸⁾، وتجدر الإشارة إلى أن أغلب المسلمين في إفريقيا يسيرون وفق طرق صوفية مختلفة وكلها على مذهب الإمام مالك (ت179هـ-795م)⁽³⁹⁾. ومن أهم الطرق الصوفية التي قامت بدور كبير في نشر الإسلام والقضاء على الوثنية مع بداية القرن العاشر الهجري/16م هي الطريقة القادرية، حيث انتشرت بفضل

الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلى (ت909هـ-1503م)، وهو أول من نشرها في إفريقيا جنوب الصحراء والذي كان من كبار علماء عصره. وقد اعتمدت القادرية على الطرق السلمية في نشر الدعوة الإسلامية ومن أساليبها نشر العلم والوعظ والإرشاد، لهذا كان أثرهم كبيرا في نشر الإسلام والثقافة المغربية، حيث يقول لوثر ب ستودار: "...فالطريقة القادرية هم أحسن مبشرين الدين الإسلامي في غرب إفريقيا وهم ينشرون الإسلام بطريقة سلمية باستعمال التجارة والتعليم..."⁽⁴⁰⁾. وبفضلها استطاع السودانيون تأسيس دول إسلامية في غرب إفريقيا مثل دولة عثمان دان فوديو في سكوتو، ودولة أحمدو لوبو في ماسينا⁽⁴¹⁾.

ثانيا- الهجرات المغربية وأثرها على إفريقيا جنوب الصحراء:

لقد ساعد على نشر الإسلام والثقافة المغربية بإفريقيا جنوب الصحراء هجرات المغاربة الذين استقروا بالممالك الإفريقية، وقد أخذت صورا متعددة بعضهم يقصد التجارة أو طالبا للتدريس والإمامة أو هروبا من ضغط الكيانات السياسية القائمة في المغرب الإسلامي حيث انتقلت عبر منافذه متوجهة إلى هذه الممالك.

1- المغرب الأقصى:

لم يقتصر حضور المغرب الأقصى على الفقهاء فقط في إفريقيا جنوب الصحراء بل امتد ليشمل الأسر والبيوتات، فقد ذكر ابن بطوطة أنه تعددت العائلات التي سكنت مدنها مثل عائلة الفيلاي وعائلة الدكالي وعائلة الجزولي، كما وفدت عائلات أخرى من مكناس وتازة وتادلة المغربية⁽⁴²⁾. ولاحظ أيضا عند زيارته لمملكة مالي بأنها توجد بها جالية من المغرب الأقصى ورئيسها سعدي بن علي الجزولي وهو يشغل رتبة شيخ المغاربة، وكان كبير جماعتهم في مالي محمد بن الفقيه الجزولي⁽⁴³⁾. بالإضافة إلى عائلة البلالي ويأتي على رأسها الفقيه مخلوف بن علي بن صالح البلالي (توفي بعد 940هـ-1533)⁽⁴⁴⁾. كما تكونت فئة المولدون في إفريقيا جنوب الصحراء عن طريق المصاهرة بين الجانيين، وكانت هذه المصاهرة تتم حتى مع ملوك السودان، وذكر لنا حسن الوزان (ت957هـ-1550م) أن حاكم تنبكت زوج اثنين من بناته من أخوين تاجرين لغناهما وهما من المغرب⁽⁴⁵⁾. وذكر لنا

محمود كعت (ت1004هـ-1596م) زواج الشريف الحسني أحمد الصقلي في تنبكت من امرأة عربية من أهل تافيلالت اسمها زينب فولدت له مزوار ومحمد وسليمان ورقية وزينب⁽⁴⁶⁾.

2-الجزائر

تحدث الإدريسي (ت560هـ-1160) عن قبائل ورجلان (ورقلة) فذكر أنها غنية وتجارها عرفوا بالثراء حيث كان لهم نشاط بارز في إفريقيا جنوب الصحراء خاصة في عملية شراء الذهب والمتاجرة به⁽⁴⁷⁾، وقد وفد كثير منهم إلى المنطقة على هيئة تجار أو علماء فساهموا في نشر الإسلام وثقافتهم، ولما طاب لهم المقام في المنطقة سكن الكثير منهم هناك، وقد أجاد التاجر والعالم الورجلاني أبو يعقوب يوسف ابن إبراهيم (ت570هـ-1174م) في وصف متاعب السفر ومشقته في منطقة السودان، حين رجع سالما بعدما رأى شبح الموت بعينه في مفاوزها حيث قال في قصيدة له:

جزى الله وارجلان خير ما جزى	به بلدا عن طالب الخير سائر
هو جنة الدنيـ وأبواب مكة	ومعدن تبر غانة والدنانير
فمن كان يبغي الحج فليأت ورجلان	يجد سبلها رحبا وخطرة خافر
فلا وجود في الدنيا لمن قال ماله	لا مال إلا ما أتى بالتاجر
ويفتخر الجاهل بالمال والندى	وقد سرقوها من جميع المخاطر
ولن يكسب المال الحلال سوى امرئ	يجوب الهوامي نحو غانة صابر
وليس يهاب الحر والقر والشوا	ولا أشمس والظلماء ذات الدياجر
ويستصغر الأهوال من حيث أقبلت	ولو أنها أمثال وخز الخنازر ⁽⁴⁸⁾

كما لعبت القبائل التواتية بمجراتها الجماعية دورا في ترسيخ نفوذها الدينية والسياسية، بأن أنشأت زوايا وحركات دينية في إفريقيا جنوب الصحراء، وهذا ما جعل إسهامها ودورها مضاعفا في تبليغ رسالة الإسلام وثقافته، وقد أسهم كل من الفقهاء والمتصوفة والتجار التواتيين في مد مناطق السودان الغربي بالأفكار والتعاليم الإسلامية، كل حسب طريقته الخاصة، فالفقيه عمل عن طريق التدريس والإرشاد، والمتصوف اهتم بنشر الطريقة وأورادها

والتاجر اجتهد عن طريق المجالس واللقاءات في الأسواق والمحافل العامة في بث تعاليم دينه وثقافته، كما ساعد موقع توات الاستراتيجي كوسيط بين المغرب الشمالي والسودان الصحراوي في جعل هذه المنطقة مرتكزا ومنطلقا لنشر المعارف والثقافة الإسلامية في أقاليم إفريقيا جنوب الصحراء⁽⁴⁹⁾. فقد نزحت من منطقة توات العديد من القبائل باتجاه تنبكت والسودان الغربي، ومن أشهرها قبيلة كنته، التي سكنت بمنطقة قورمة بسنغاي وهذا ما تؤكدته الأبيات التي قالها محمد بن الشيخ الأرواني:

كنته اسم إيالة في لفظهم لقب لوال بعد في الزمــــن
هناك قريتها كنته قور أسمها بشرق سنغاي من قدم الزمان⁽⁵⁰⁾

وكان لها دور بارز في نشر الإسلام بالسودان الغربي، فقد اهتم الكنتيون بتجارة قوافل الصحراء فاشتغلوا بها وسيروها من توات وسجلماسة إلى تنبكت وغاو ودندي وكاتسينا وبرنو وما ورائها من إفريقيا جنوب الصحراء⁽⁵¹⁾. وإلى جانب كنته أسهمت قبيلة الفلان التواتية بجهد معتبر في نشر الإسلام في السودان الغربي، فلقد استوطنت ببلاد الشنقيط وانتقلت بعض فروعها جنوبا إلى بلد مالي والتكرور والسنغال واستوطنوا هناك وقد عرفوا في التاريخ بلقب الشعب الدعاة للإسلام، إذ حملوا الإسلام من موطنهم بالسواحل الأطلسية إلى داخل العمق الصحراوي⁽⁵²⁾.

3- طرابلس الغرب:

عمل الداعية الطرابلسي علي بن يخلف النفوسي على نشر الإسلام خلال القرن السادس الهجري/12م بإفريقيا جنوب الصحراء، الذي اسلم على يده ملك غانة الوثني "برمندان" سنة (575هـ-1179) والذي سمي بعد إسلامه بالملك "المسلماني"⁽⁵³⁾. وكانت في تنبكت جالية من طرابلس تعرف باسم الغدامسية نسبة إلى غدامس حيث ترأست مهنة التجارة، كما كان لهم حيا بكامله ويعد من أرقى أحياء مدينة تنبكت وأجملها⁽⁵⁴⁾. كما سيطر التجار الليبيون الذين يملكون مراكز تجارية على أكثر من عشرين منطقة في الصحراء الكبرى وفي بلاد الهوسا، حيث كانوا وحدها يبلغ عدد البيوتات

التجارية لأهل غدامس أزيد ما بين 60 إلى 80 بيتا، كما عدد الحشائشي في رحلته عددا من البيوتات بإفريقيا جنوب الصحراء التي يوجد بها تجار لبيون خاصة من أهل غدامس فذكر كل من وداي، برنو، كاتم، زرايا، سكوتو، كانو، تشاد، تنبكت، نوفي، أدماز⁽⁵⁵⁾.

4- تونس

لقد شهدت تونس هي الأخرى هجرات بعض قبائلها كقبائل عرب التنجور اللذين هاجروا منها خلال القرن الثامن الهجري/14م واتجهوا صوب الجنوب، واخترقوا السودان الأوسط حتى وصلوا إلى السودان الشرقي إلى دار فور⁽⁵⁶⁾.

5- العنصر الأندلسي

شارك العنصر الأندلسي أيضا في التاريخ الاجتماعي المشترك بين الأندلس والسودان الغربي المتجسد في التصاهر والتزواج، حيث تزوج أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الغرناطي الأندلسي (ت747هـ-1347م) الملقب في المصادر الأندلسية بالطويجن زوجة من نساء مالي، وكان عالما ومهندسا وأديبا وشاعرا ودبلوماسيا فحضر بأدوار متميزة بين مملكة بني مرين ومملكة مالي في القرن الثامن هجري/14م، وهذا ما ذكره لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ-1374م) في قوله: "...واتخذ إماء من زنجيات ورزق منهن أولادا..." وتحدث ابن الخطيب عن أولاده مزحا فشبهم بالحنافسة وأنهم لا يشبهون الأندلسيون⁽⁵⁷⁾. ومن خلال هذه المصاهرة تكونت في تنبكت وفي السودان الغربي أسرة علمية ترفع نسبها إلى إسحاق إبراهيم الساحلي.

ثالثا- علاقة إفريقيا جنوب الصحراء بالمراكز الثقافية المغاربية

أخذ تيار الثقافة العربية الإسلامية طريقه إلى إفريقيا جنوب الصحراء متسربا إليها من المراكز الثقافية والفكرية في بلاد المغرب الإسلامي، ولم تقف الصحراء حاجزا لتدفق مظاهر الحضارة، فقد ازدهرت ثقافيا متأثرة بالتيارات الفكرية والحضارية الوافدة إليها من بلاد المغرب.

1- تونس

تأسست مدينة القيروان سنة (50هـ-670م) على يد عقبة بن نافع الفهري لتكون قاعدة لإنطلاق انتشار الإسلام نحو المغرب الأوسط والأقصى وأوروبا وممالك إفريقيا جنوب الصحراء، حيث شكلت حاضرة ثقافية على مدى تاريخها، لأنها منذ تأسيسها كانت مركزا حريا ومنطلقا للفتوحات الإسلامية ومركزا للثقافة العربية، لأن بها مسجد القيروان وهو أول مسجد بناه المسلمون في بلاد المغرب ليكون منطلقا للدعاة لنشر الإسلام، وبذلك هو منارة علمية للإشعاع الحضاري. فكانت القيروان مهد للمذهب المالكي في الغرب الإسلامي، حيث وضحت معالمها من خلال الجهود الكبيرة التي بذلها علمائها وفقهائها المالكيين لترسيخ الحضارة العربية المغربية الإسلامية، وطبعوا الحياة بالطابع المالكي البحت. لذلك كان لمؤلفات المدرسة المالكية القيروانية أثر على الجانب الثقافي والديني في إفريقيا جنوب الصحراء، ومن أبرز هذه المصنفات كتاب **موطأ** من أقدم الكتب المدونة في الفقه الإسلامي فهو يجمع بين الحديث والفقه، كما يعتبر من أهم الكتب التي دخلت بلاد المغرب بعد كتاب الله تعالى، وهو في الوقت ذاته أول كتاب حديثي يدخل هذه الأقطار خلال القرن الثاني للهجرة/8م الذي أصبح عمدة مذهبهم، وكان دخوله السبب الرئيسي إلى وحدة المغاربة في التمدد بمذهب مالك، وأزال التفرقة المذهبية التي كانت يدنون بها كالحنفية والمعتزلة والخارجية⁽⁵⁸⁾. وبذلك أصبح الموطأ المصدر المبحوث عنه والمرجوع إليه لأهل المغرب إلى أن خرجت المدونة على يد سحنون⁽⁵⁹⁾. ونظرا لأهميته لم يبق مقتصرًا على العلماء المغاربة بل تعدت ذلك إلى ما وراء الصحراء حيث تردد ذكره في مؤلفات علمائها إذ اعتنوا به كثيرا تفقها ودراسة وحفظا حيث سمعه أحمد بابا التنبكي (ت1036هـ-1627م) عن والده أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (ت991هـ-1543م)⁽⁶⁰⁾، وقرأه الأخوين أحمد ومحمد بن سعيد على جدتهما (سبطهما) محمود بن عمر بن محمد أقيت⁽⁶¹⁾، وقرأه أيضا محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكي (ت978هـ-1570) على الفقيه أحمد بن سعيد⁽⁶²⁾.

كما تعد **المدونة الأصل** الثاني للمذهب المالكي بعد الموطأ، وهي من أقدم الكتب التي أوصلت إلينا هذا المذهب. فقد ضمت أفكار أربعة مجتهدين الذين أسسوا قواعد المذهب وهم الإمام مالك وعبد الرحمان ابن القاسم العتقي (ت191هـ-806هـ) وأسد بن فرات (ت213هـ-828هـ) وعبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون (ت240هـ - 854م)⁽⁶³⁾، هي من أكثر المصنفات قراءة في الحواضر العلمية في بلاد السودان⁽⁶⁴⁾. وكذلك كتاب **التهذيب** وهو من أهم المختصرات لكتاب المدونة التي ألفت في القرن الرابع الهجري/10م قصد فيه مؤلفه تيسير فهم المدونة وتسهيل حفظها وتدريسها، فعمد إلى اختصارها وتقريب مسائلها، وتكمن أهميته كونه اختصار لكتاب المدونة وقيمة المدونة في الفقه المالكي هي أصل مذهبه وعمدة الفقهاء في القضاء والإفتاء المرجح روايتها على سائر الأمهات. ونظرا لأهميته اقبل عليه المغاربة إقبالا كبيرا في حلقات التدريس والفتوى والمناظرة⁽⁶⁵⁾، كما يعتبر الفقيه عبد الرحمان بن مختار النحوي هو عالم التهذيب للبرادعي في بلاد السودان خلال القرن العاشر الهجري/16⁽⁶⁶⁾.

بالإضافة لكتاب **الرسالة** أو ما يعرف بـ "رسالة أبي زيد القيرواني" لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت386هـ-996م) الملقب "بمالك الصغير" وهو من أشهر وأنفس مؤلفات المالكية، التي تعد المصدر الثالث في المذهب بعد الموطأ والمدونة، والكتيب على صغر حجمه واختصاره احتوى على أربعة آلاف مسألة مأخوذة من الأحاديث النبوية تارة نصا وتصريحا وتارة إشارة⁽⁶⁷⁾. وانتشرت الرسالة في سائر بلاد المسلمين حتى بلغت بلاد السودان ويقول الدباغ (ت696هـ-1296م) في ذلك: "...انتشرت الرسالة في سائر بلاد المسلمين حتى بلغت العراق واليمن والحجاز والشام ومصر وبلاد النوبة وصقلية وجميع بلاد افريقية والأندلس والمغرب وبلاد السودان، وتنافس الناس في اقتنائها حتى كتبت بالذهب..."⁽⁶⁸⁾، وقد انكب عليها الفقهاء والمعلمون من إفريقيا جنوب الصحراء بالقراءة⁽⁶⁹⁾.

2- المغرب الأقصى

ساهمت مدارس أغمات ومراكش وفاس وغيرها من مدارس المغرب الأقصى في نشر الثقافة والحضارة الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء على غرار جامع الأزهر والقيروان، وكان العنصر المغربي هو الغالب في الحركة العلمية في حواضرها نظرا لقربه منها، ولصلاته التي تربطه بها كحاضرة تنبكت خاصة منذ وصول المرابطين، الذين تأخمت مضاربهم الأولى المنطقة، فأدت حركتهم الإصلاحية إلى نشر الإسلام بها⁽⁷⁰⁾. وقد ساهم علماء المغرب الأقصى مساهمة فعالة في الحركة العلمية، وأخذوا يشجعون روح البحث العلمي، فألفوا في شتى العلوم، وامتاز نشاطهم العلمي، بتخرج أعداد كبيرة من الطلاب على أيديهم، فأغنوا المكتبة السودانية، وكانت المؤلفات المغربية يتهافت عليها التجار لبيعها في تنبكت وجني غيرها⁽⁷¹⁾. وكان الطلبة بإفريقيا جنوب الصحراء يقصدون جامع القرويين بفاس للدراسة والتكوين لأنه يضم في رحابه حلقات للعلم، فأنحدرت إليه فئات من جميع أركانها لمتابعة دروس علمية عالية⁽⁷²⁾. وبدوره استقبل العشرات ممن لمع اسمهم في تاريخها، حيث تخرج العديد من علمائها في هذا الجامع وبفضله ازدهرت تجارة الكتب وحفلت خزائن مدنها بكل ما كان معروفا من كتب في مختلف الفنون⁽⁷³⁾. وكانوا يقصدون أيضا مساجد مراكش وغيرها من البلاد المغربية، ويعود هؤلاء إلى بلادهم بعد أن يطلعوا على العلوم الجديدة التي لم تكن قد عرفت طريقها إلى هناك من قبل⁽⁷⁴⁾.

كما شهدت إفريقيا جنوب الصحراء توافد جاليات ممن حملوا معهم رسالة الثقافة المغربية الإسلامية من المغرب الأقصى، فعلى أية حال إن بداية الاتصالات بينهما بدأت منذ القرن الثاني الهجري/8م، وقد أثمرت هذه الاتصالات خلال القرون التالية⁽⁷⁵⁾. حيث كان لاتصال تنبكت بالمغرب الأقصى أثر واضح في حضارتها وذلك بأخذها الإسلام على المذهب المالكي، والكتابة على الطريقة المغربية⁽⁷⁶⁾. وهاجر بعض العلماء من المغرب نحو العواصم السودانية كمدرسين ومفتين، وكان مقصدهم مدينة تنبكت، إما للإقامة بها نهائيا أو مؤقتا ومن بينهم يحيى التادلي العالم الصالح كان بها، وعثمان الفيلاي من شيوخ المدينة ذاتها، والقاضي أحمد الفيلاي⁽⁷⁷⁾. وبذلك شكل العنصر المغربي أهم عناصر ازدهار حركتها

العلمية ولا تزال سلالتهم ساكنة إلى يومنا هذا. كما شجع السلطان منسى موسى تدفق فقهاء المغرب الأقصى إلى مالي الإسلامية ويشهد على ذلك أن وفد في زمانه الفقيه أبو العباس الدكالي الذي تولى منصب القضاء في هذه الدولة⁽⁷⁸⁾. واستمر هذا التوافد في عهد منسى سليمان، حيث شاهد ابن بطوطة العديد منهم أثناء رحلته إلى مالي فالتقى في مدينة ولاته بأحد فقهاء مدينة سلا هو ابن بداء، كما التقى بقاضيه وهو الفقيه المغربي محمد بن عبد الله بن ينومر وأخيه يحيى الذي كان فقيها ومدرسا هناك، والتقى أيضا بالخطيب محمد، والمدرس الفقيه أبي حفص المسوفي، وقابل أيضا الشيخ المزوري المراكشي والمقرئ عبد الواحد بشمعة، أما مدينة غاو عاصمة دولة سنغي فقد امتد إليها المد المغربي وكان وجودهم فيها كبيرا ويشهد على ذلك وجود مسجد في هذه المدينة يدعى مسجد البيضان وإمامه الفقيه محمد الفيلاي، وكان هناك أيضا الفقيه محمد بن عمر المكناسي والفقيه محمد الوجدى التازي من مدينة تازة المغربية⁽⁷⁹⁾. وقد استمر توافد العلماء مع بداية القرن العاشر الهجري/16م مثل العالم المغربي عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يحيى الزموري (ت911هـ-1505م) وهو شارح كتاب "إيضاح اللبس والخفا في كشف عن غوامض الشفا" حيث أشار إليه أحمد بابا التنبكي أنه درس في ولاته ودهليز من بلاد التكرور ثم رجع⁽⁸⁰⁾ فأخذ عنه الفقيه عمر بن محمد أقيت والفقيه المختار النحوي (ت922هـ-1516م) وأجاز لهما بكتاب "الشفا" للقاضي عياض⁽⁸¹⁾. وكذلك العالم المغربي عبد الرحمان بن علي بن أحمد القصري الفاسي المعروف بـ"بشقيْن" (ت956هـ-1549م) الذي لم يكتفي بنشر العلم ببلده بل خرج إلى ما وراء الصحراء ودخل عددا من مدنها ويشير التنبكي أنه دخل بلاد الهوسا بكانو، فعظمه ملوكها وأعلو منزلته وأعطوه مالا كثيرا وهدوه مائة جارية هناك ثم قف راجعا لفاس⁽⁸²⁾.

3- الجزائر

لقد شهدت تلمسان في العهد الزياني حركة فكرية رائدة، وحركة تنوير واسعة للعلوم والمعارف الإسلامية المختلفة امتد تأثيرها وإشعاعها إلى المدن والحوضر العلمية بإفريقيا جنوب الصحراء، فقد هاجر علماء تلمسان إلى مدنها للتدريس حيث يشير ابن بطوطة انه

التقى في مدينة مالي بالشيخ التلمساني وهو ولد ابن الشيخ اللبن الذي وجده يعلم الناس القرآن الكريم والفقهاء بها⁽⁸³⁾. كما نالت مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ-1490م) في التوحيد لدى علماء إفريقيا جنوب الصحراء قبولا واهتماما مما جعلها في مقدمة الكتب الكلامية، ويعود السبب في ذلك إلى المكانة العلمية التي كان يتبوؤها السنوسي، حيث استطاع أن يؤسس مدرسة أشعرية اتسمت بالاجتهاد في تلمسان، فحسد لنا مرحلة من أهم مراحل تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي وهي المرحلة التي عاصرها والتي تلتها تنتسب إليه وتسمى "بالمرحلة السنوسية"، حيث مصنّفه "العقيدة الصغرى" المعروفة بـ "أم البراهين" استوعب زبدة ما تضمنته أمهات الكتب الكلامية، مما جعل المطلع عليها مستغنيا عن المطولات المملة⁽⁸⁴⁾. ومن هذه الأسباب عكف علماء وطلاب إفريقيا جنوب الصحراء على دراسة مصنفات السنوسي فحظيت باهتمامهم حيث حازت مؤلفاته عندهم على إقبال كبير إذ تعد من الكتب المعتمدة في حلقاتها ومراكزها العلمية، واعتنوا بها كثيرا تفقها ودراسة وحفظا وتحفيظا بالنسخ والتقييد. وقد تردد ذكر هذه المصنفات كثيرا في مؤلفات وتراجم علمائها ومن اشتهر بتدريسها في تنبكت الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري، وأخذها عنه تلميذه أحمد بابا التنبكتي⁽⁸⁵⁾، ومن العلماء الذين وضعوا عليها شرحا أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت⁽⁸⁶⁾.

كما ساهم علماء توات في نشر الإسلام وثقافتهم الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء بواسطة الرحلات العلمية وتبادل الوفود ولقاءات مواكب الحج والاجتماع حول الطريقة الصوفية، ولم يكتفوا بالتدريس والإمامة فقد نقلوا كثيرا من مخطوطاتهم إليها وأنشأوا العديد من المدارس والرباطات وبذلك أسهموا في إرساء نهضة علمية في مختلف الحواضر التي زاروها ودرسوا بها⁽⁸⁷⁾. فكانت لهم مكانة مرموقة بين الأفارقة وذلك بوصفهم حملة الرسالة، حيث بعث سلطان برنو كاداي (1440-1447) رسالة إلى علماء توات يطلب فيها أن يرسلوا إليهم بعثات علمية إليهم⁽⁸⁸⁾. كما أنشأوا زوايا وحركات دينية بين ضفتي الصحراء وكان لها دورا في تبليغ رسالة الإسلام وثقافته وحضارته، وأسهم فقهاءها ومتصوفها وتجارها في مد مناطق صحراء إفريقيا بالأفكار والتعاليم الإسلامية⁽⁸⁹⁾. وهذا ما

أكده السعدي بأن خمسين رجلا من التواتيين من عباد الله الصالحين دفنوا بتنبكت⁽⁹⁰⁾. وما يؤكد أهمية جالية توات ودورهم الثقافي والديني والسياسي في المنطقة، أنه لما جاءت حملة أحمد المنصور الذهبي (ت1012هـ-1603م) للقضاء على مملكة سنغي ذكر السعدي أن الباشا محمود بن زرقون طلب من التواتيين المقيمين بتنبكت بمبايعة السلطان أحمد منصور الذهبي بجامع سنكري يوم 22 محرم 1002هـ⁽⁹¹⁾، وهذا ما يؤكد لنا أن لهم مكانة ورفعة كباقي السكان المحليين.

ومن بين علماء توات الذين كان لهم دورا بارزا في نشر الثقافة المغاربية بإفريقيا جنوب الصحراء محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي انطلق من تلمسان إلى توات قاصدا إليها وكان معلما ومرشدا ومصلحا وداعيا ومفتيا وقاضيا، فدخل بلاد آير ثم توجه إلى بلدة تكدة فكان مدرسا حيث أخذ عنه الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمي المسوفي (ت950هـ-1543م)⁽⁹²⁾. وبني مسجدا في قرية أياتول شمال شرق اجاديس ودرس أهالي المنطقة⁽⁹³⁾. ثم انتقل إلى كاتسينا وتولى بها قضاء الجماعة والتدريس، ثم توجه إلى كانو حاضرة محمد بن يعقوب رومغا الذي تولى الحكم في الفترة ما بين (1463م-1499م) وفيها استقر مقامه فقربه السلطان إليه وجعله مستشاره ووزيره، وولاه القضاء والإفتاء في الفترة التي قضاها ببلاده، وكتب له مجموعة من الرسائل ووصايا وفتاوى منها مجموعة في أمور الإمارة والسياسة الشرعية⁽⁹⁴⁾. ثم انتقل إلى مملكة سنغي سنة (908هـ-1502م) واتصل بالسلطان أسكيا الحاج محمد (ت934هـ-1528م) الذي قربه إليه، ووجه له أسئلة تتضمن المشاكل السياسية والدينية والاجتماعية التي تواجه مملكته، فأجابه المغيلي في رسالة بعنوان "أسئلة أسكيا وأجوبة المغيلي" التي نشرها عبد القادر زبادية سنة (1394هـ-1974م)⁽⁹⁵⁾.

ومن بينهم أيضا أبو القاسم التواتي الذي كان عالما فقيها فاضلا صالحا خيرا زاهدا عابدا عارفا بالله مدرسا وإماما للمسجد الجامع بتنبكت بعد وفاة عبد الله البلالي، ومن أعماله بناؤه لمدرسة في المسجد لتعليم الصبيان، واستحدثه لمقبرة جديدة وجعل عليها صور، وذكر السعدي أنه أول من قرأ الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة مع قراءة حرف واحد من العشرينيات، فحبس أسكيا الحاج محمد لأجل الختمة مصحفا كاملا في الجامع

وبقيت تقرأ فيها إلى العام (1020هـ-1611م) حيث بدلت بأخرى حبسها الحاج علي بن سالم بن عبيدة المسراقي؛ وذكر أنه حظي باحترام الجميع حتى أن السلطان أسكيا الحاج محمد (ت934هـ-1528م) كان يحرص بعد كل صلاة على الملاقاة به للتسليم عليه والتبرك به وعرف بمدحه للنبي ﷺ وحبه للمداحين بتبكت ويعد أول من بدأ الاحتفال فيها بالمولد النبوي ووضع له منهجا ما زال متبعا إلى يومنا هذا، وتوفي سنة (935هـ-1529م) ونظرا لمكانته العلمية في تبكت صلى عليه الإمام محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت955هـ-1545م) ودفن في المقبرة الجديدة التي بناها⁽⁹⁶⁾.

خاتمة:

وفي الختام لا بد لنا من عرض النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة ويمكن إجمالها في الآتي:

إن الثقافة المغاربية وضعت بذورها في تربة إفريقيا جنوب الصحراء منذ الفتح الإسلامي ثم ترعرعت وبلغت أشدها ونضجت مع بداية القرن العاشر الهجري/16م، وذلك من خلال إسهام التجار والدعاة المغاربة في نشر الإسلام بالمنطقة حيث أسسوا بها مراكز تجارية مثل تبكت غاو وجني وكانم وغيرها. لتتحول فيما بعد إلى حواضر إسلامية لنشر الإسلام والثقافة العربية بين الوثنيين يتجه إليها طلابها حيث لعبت دورا أساسيا في النهضة العلمية بالمنطقة متأثرة بالحواضر العلمية في بلاد المغرب الإسلامي كالقيروان وفاس وتلمسان فأصبحت بذلك المرجعية الدينية المعتمد عليها في إفريقيا جنوب الصحراء من خلال مؤلفاتهم وأفكارهم التي صارت تعج بها حواضرهم.

مثل علماء المغرب الإسلامي عنصرا أساسيا في الحركة العلمية والثقافية في إفريقيا جنوب الصحراء كمدينة تبكت التي تعتبر من أكبر المناطق التي ترسخت فيها ثقافتهم بسبب توافد علمائهم إليها فشكلت بذلك محطة الحضارة العلمية والفكر المغاربي منذ تأسيسها فأصبحت تغذي الحواضر العلمية الأخرى بالعلم والثقافة إذ يقول عنها شال أندريه جوليان: "ازدهمت بالعلماء والدعاة مركزا ثقافيا ودينيا للدعوة والإشعاع الإسلامي نحو الجنوب"⁽⁹⁷⁾.

كما عملت الدويلات التي تأسست في بلاد المغرب الإسلامي على ربط علاقات سياسية واقتصادية وثقافية متينة مع ملوك ممالك إفريقيا جنوب الصحراء، لأن ثقافتهم لم تمس عامة الأفارقة فقط بل حتى ملوكها وسلاطينها تأثروا بها فهم من شجعوا البعثات الطلابية لطلب العلم في الحواضر العلمية لبلاد المغرب الإسلامي. كما لا ننسى مساهمة الطرق الصوفية خاصة القادرية في نهوض الحركة العلمية في إفريقيا جنوب الصحراء مع بداية القرن العاشر الهجري/16م وهذا عن طريق التعليم والوعظ والإرشاد وإنشاء الزوايا.

كما كان لانتقال الجاليات المغاربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء مساهمة في الحركة العلمية منذ مجيء الإسلام لبلاد المغرب الإسلامي حيث حملوا معهم هذه الرسالة إلى ما وراء الصحراء كما كان لنتيجة هذه الهجرات أن نتجت عنها علاقة المصاهرة والتمازج العرقي فأدى ذلك إلى ظهور طبقة المولدين التي أخذت من خصائص الأجناس في الشمال والجنوب.

إن من مظاهر تأثرهم بالعنصر المغربي تجلّى في ميدان التربية والتعليم فالمناهج الدراسية وطرق التدريس واستعمال الخط والقراءة المغربية والكتب المقررة وطريقة إعطاء الإجازات العلمية نفسها في إفريقيا جنوب الصحراء ومراكزها العلمية لا تكاد تختلف في شيء عن التقاليد التي كانت سائدة في القيروان وتلمسان ومراكش وفاس وتوات وسجلماسة.

إن الحركة العلمية والثقافية التي شهدتها إفريقيا جنوب الصحراء مع بداية القرن العاشر الهجري/16م كانت فيها القيادة والريادة للعلماء الأفارقة الذين كان لإنتاجهم مساهمة في الحضارة الإسلامية، يعود الفضل فيها إلى مختلف البلدان المغاربية كالمغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا، ولهذا جاءت ثقافتها فريدة من نوعها استفاد منها قاطنيها.

الهوامش والإحالات:

- (1) - رولاند أوليقر وجون فيج: موجز تاريخ إفريقيا، ترجمة: دولت أحمد صادق، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965، ص74.
- (2) - بن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ج1، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة: الهيئة لقصور الثقافة، 1999، ص ص230-263؛ محمد بن سعد بن المنيع الزهري: كتاب الطبقات الكبرى، ط1، ج5، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 2001، ص70؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ط2، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الرياض: دار طيبة، 1985 ص ص202 وما بعدها.
- (3) - المصطفى ولد أحمد سالم الشريف: الخدمان في مجتمع البيضان، ط1، لندن: إي-كتب 2017، ص139.
- (4) - أحمد محمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، ط1، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي 1987، ص13.
- (5) - ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط2، ج2، تحقيق: ج.ص. كولان واليفي برفنسال، بيروت- لبنان: دار الثقافة، 1983، ص27؛ ابن أبي زرع الفاسي: الأئيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1972، ص89.
- (6) - أبي عبد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب- جزء من كتاب المسالك والممالك-، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ص160.
- (7) - آدم عبد الله الإلوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلانين، ط1، القاهرة- بيروت: دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، 2014، ص26.
- (8) - عبد الرحمان بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، تحقيق: سهيل زكار، بيروت-لبنان: دار الفكر، 2000، ص42.
- (9) - يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، الجزائر: دار البصائر، 2009، ص12.
- (10) - عبد الرحمان بن خلدون: مصدر سابق، ص42.
- (11) - حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، القاهرة: دار الفكر العربي، 2006 ص46.

- (12)- شوقي عطا الله الجمل: " الحضارة الإسلامية في غرب أفريقيا سماتها ودور المغرب فيها " مجلة المناهل، (المغرب)، ع/7، السنة الثالثة، نوفمبر 1976، ص ص139، 140.
- (13)- عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء- مرحلة انتشار الإسلام-، ط1، توضح1 نس- بنغازي: دار الكتب الوطنية، 1998، ص105.
- (14)- البكري: مصدر سابق، ص175.
- (15)- صالح أكنوي: " دخول المذهب المالكي إلى شمال نيجيريا و انتشاره فيه "، مجلة دار الحديث الحسنية، (المغرب)، ع/10، 1992، ص 256.
- (16)- محمد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983، ص98.
- (17)- ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستمين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986، ص64.
- (18)- محمد إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع، ط2 المغرب: دار الثقافة، 1985، ص282.
- (19)- مبارك بورطان: "الدور التجاري لمدينة ورقلة في العصر الوسيط"، مجلة حوليات مخبر التاريخ والجغرافيا، (الجزائر)، ع/2، يوليو 2008، ص47.
- (20)- أبو عبد الله محمد ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط1 ج2، تح: محمد عبد المنعم العريان، بيروت: دار الإحياء للعلوم، 1987 ص693.
- (21)- الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: معلمة المغرب، ج19، المغرب: مطابع سلا 2004، ص ص6624-6626.
- (22)- حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، جامعة الدول العربية-معهد الدراسات العربية العالية، 1957م، ص51.
- (23)- عطية مخزوم الفيتوري: مرجع سابق، ص111.
- (24)- مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ط1، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1979، ص17.
- (25)- أبو عبد الله محمد ابن بطوطة: مصدر سابق، ص703.
- (26)- عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيمااتهم ونظمهم، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991، ص35.

- (27)- رشيد بورويبة وآخرون: **الجزائر في التاريخ-العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني-**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت، ص301.
- (28)- إبراهيم حركات: "طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا الغربية مع العصر الوسيط"، مجلة دعوة الحق، (المغرب) ع/269، 1988، ص188.
- (29)- أحمد بن محمد المقرئ: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج3، تحقيق: إحسان عباس بيروت: دار صادر، 1968، ص105.
- (30)- أبي عبد الله بن محمد بن الآبار: **تحفة القادم**، ط1، تحقيق: إحسان عباس، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1986، ص ص157 وما بعدها؛ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: **معجم البلدان**، ج4، بيروت: دار صادر، 1993، ص432؛ تقي الدين المقرئ: **المقفى الكبير**، ط1، ج1، تحقيق: محمد اليعلاوي، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي 1991، ص317؛ صلاح الدين بن أيك الصفدي: **الوافي الوفيات**، ط1، ج6، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي، 2000، ص109؛ أحمد بن محمد المقرئ: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج4، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1968، ص380.
- (31)- محمد الغربي: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، الكويت: مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، 1982، ص45.
- (32)- أحمد بن محمد المقرئ: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج5، تحقيق: إحسان عباس بيروت: دار صادر، 1968، ص205.
- (33)- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشَّماع (ت833هـ-1430م): **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر محمد المعموري، تونس: دار العربية للكتاب، 1984، ص66.
- (34)- عبد الجليل التميمي: "الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث"، **المجلة التاريخية المغربية**، (تونس)، 1981، ص11.
- (35)- للمزيد حول موضوع السفارات بين دولة المرينية ومملكة مالي الإسلامية ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: **مصدر سابق**، ص269؛ مزاحم علاوي الشهابي: **الحضارة العربية الإسلامية في المغرب-العصر المريني-**، مركز الكتاب الأكاديمي، د.ت، ص ص70 وما بعدها.
- (36)- سهر عنتر محمد أحمد مرجان: **فقهاء المالكية وأئامهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي صنغي (628-1000هـ/1230-1591م)**، ط1، مصر: مكتبة الثقافة الدينية 2011، ص73.

- (37)- عبد الرحمان السعدي: **تاريخ السودان**، ط1، تحقيق: حماد الله ولد السالم، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 2012، ص193.
- (38)- صالح أكنوي: مرجع سابق، ص259.
- (39)- إمام محمد أبو محمد: "سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية"، المؤتمر الدولي: الإسلام في إفريقيا، 06-07 ذو القعدة 1427 هـ/26-27 نوفمبر 2006، ص91.
- (40)- لوثر بوب ستودار: **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ترجمة: عجان نويهض، بيروت: دار الفكر، 1971، ص396.
- (41)- عبد القادر القادري: "الزوايا القادرية ودورها الديني والاجتماعي"، مجلة دعوة الحق (المغرب) ع/10، السنة العشر، 1979، ص48.
- (42)- أبو عبد الله محمد ابن بطوطة: مصدر سابق، ص ص705 وما بعدها.
- (43)- المصدر نفسه، ص710.
- (44)- أحمد بابا التنبكي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ط1، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرمة طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية، 1989، ص608؛ أحمد بابا التنبكي: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، ج2، تحقيق: محمد مطيع، المملكة المغربية، 2000، ص246.
- (45)- حسن الوزان: **وصف إفريقيا**، ط2، ج2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1983، ص166.
- (46)- محمود كعت: **تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس**، ط1، تحقيق: حماد الله ولد السالم، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 2012، ص73.
- (47)- الإدريسي ابن عبد الله الشريف: **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس - مقتبس من كتاب نزهة المشتاق -**، تحقيق: إسماعيل العربي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص39.
- (48)- إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية - (160-296هـ/777-909م) دراسة الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية -**، ط2، الجزائر: المطبعة العربية، 1993، ص222.
- (49)- عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ: **دور منطقة التوات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، ط1، الجزائر: وزارة الثقافة، 2009، ص35.
- (50)- أحمد الحمدي: **المختار الكبير الكنتي - التصوف والعلم بأزواد أفريقيا -**، الجزائر: جمعية البيت للثقافة والفنون، 2009، ص ص82، 83.
- (51)- عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ: مرجع سابق، ص152.

- (52)- ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1972، ص121.
- (53)- محمد مسعود جبران: "التفاعل العقدي والحضاري بين الغرب الإسلامي والسودان الأوسط والغربي"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، (ليبيا)، ع/22، 2002، ص90.
- (54)- عبد الرحمان محمد ميغا: الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13 الهجري، المغرب، 2011، ص 76.
- (55)- محمد عثمان الحشائشي التونسي: رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895، ط1، تحقيق: علي مصطفى المصري، بيروت: دار لبنان، 1965، ص ص171، 172.
- (56)- عبد السلام أبو سعد: "العلاقات الثقافية بين الشعوب الأفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها"، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، طرابلس: 12-14 ماي 1998، ص18.
- (57)- لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ط2، ج2، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخاننش، 1973، ص341.
- (58)- عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة 1993، ص61.
- (59)- محمد بن حسن شرحبيلي: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000، ص467.
- (60)- أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج1، تحقيق: محمد مطيع المملكة المغربية، 2000، ص139.
- (61)- المصدر نفسه، ج1، ص139.
- (62)- أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج... مصدر سابق، ج2، ص237.
- (63)- أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان المغربي: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ج1، تحقيق: زكريا عميرات، المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب، 2003، ص47.
- (64)- عبد الرحمان السعدي: مصدر سابق، ص160.
- (65)- أبي السعيد البراذعي: التهذيب في اختصار المدونة، ج1، تح: محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، الإمارات العربية المتحدة: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ص127.
- (66)- عبد الرحمان السعدي: مصدر سابق، ص146.

- (67)- أحمد بن محمد البرنسي الفاسي: شرح زروق على متن الرسالة، ط1، ج1، تحقيق: أحمد فريد المرزدي، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 2006، ص25.
- (68)- أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج3، تحقيق: محمد ماضور، تونس: المكتبة العتيقة، 1978، ص111.
- (69)- عبد الرحمان السعدي: مصدر سابق، ص160.
- (70)- عبد الرحمان ميغا: "الحركة العلمية في مدينة تنبكتو خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين"، دار الحديث الحسنية، (المملكة المغربية)، ع/14، 1997، ص236.
- (71)- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي، ج3، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1994، ص233.
- (72)- عبد العزيز بن عبد الله: "تحليل وتنظير نقدي للمصادر العربية والأجنبية لتاريخ إفريقيا"، مجلة دعوة الحق، (المغرب)، ع/278، 1983، ص36.
- (73)- محمد الغربي: "الملاحم المغربية في الثقافة الإفريقية خلال القرن السادس عشر"، مجلة دعوة الحق، (المغرب)، عدد خاص بعيد العرش المجدي، 1981، ص174.
- (74)- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: مرجع سابق، ص235.
- (75)- سحر عنتر محمد أحمد مرجان: مرجع سابق، ص118.
- (76)- محزوم، الفيتوري عطية: مرجع سابق، ص325.
- (77)- محمد المنوني: "التكامل الثقافي بين المغرب وإفريقيا في عصر الحديث من خلال المصادر العربية"، مجلة دعوة الحق، (المغرب)، ع/269، 1988، ص195.
- (78)- أبو عبد الله محمد ابن بطوطة: مصدر سابق، ص705.
- (79)- المصدر نفسه، ص690 وما بعدها.
- (80)- أحمد بابا التنبكي: كفاية المحتاج... مصدر سابق، ج1، ص255.
- (81)- الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولائي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء تكرر، تحقيق: عبد الودود ولد عبد الله وأحمد جمال ولد الحسن، القاهرة: دار نجيبويه، 2010، ص200-316.
- (82)- أحمد بابا التنبكي: كفاية المحتاج... مصدر سابق، ج1، ص284.
- (83)- أبو عبد الله محمد ابن بطوطة: مصدر سابق، ص703.
- (84)- أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني: ثلاث عقائد أشعرية، ط1، تحقيق: خالد زهري، الرباط: دار أبي رقرق، 2012، ص7.

- (85) - أحمد بابا التنبكي: نيل ابتهاج... مصدر سابق، ص 602.
- (86) - المصدر نفسه، ص 142.
- (87) - عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ: مرجع سابق، ص 137.
- (88) - عبد السلام أبو سعد: مرجع سابق، ص 19.
- (89) - عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ: مرجع سابق، ص 35.
- (90) - عبد الرحمان السعدي: مصدر سابق، ص 203.
- (91) - المصدر نفسه، ص 301.
- (92) - أحمد بابا التنبكي: نيل الابتهاج... مصدر سابق، ص 577.
- (93) - أبو بكر ميغا: "دور الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين وأثرها في الرعاة والرعية وانتعاش الحركة العلمية في المنطقة"، مجلة جامعة محمد بن سعود الإسلامية، (المملكة العربية السعودية)، ع/7 أكتوبر 1992، ص 207.
- (94) - عبد العلي الورغي: "ملاح التأثير المغربي في الحركة الإصلاحية"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية (ليبيا)، ع/16، 1999، ص 99.
- (95) - محمد بن عبد الكريم المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغلي، تحقيق: عبد القادر زبائدة، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971، ص 5.
- (96) - عبد الرحمان السعدي: مصدر سابق، ص 193 وما بعدها.
- (97) - شال أندريه جوليان: تاريخ أفريقيا، ترجمة: عوضى أباطة، القاهرة: دار نخضة مصر، 1968 ص 82.